الورقة الثالثة عشرة

للكاتب الإنجليزي فيليب زينبرام

بينما كان جماعة من الرجال بينهم جاسبر سلين يتأهبون ذات ليلة لينامبوا الورق فى حجرة بأحد الأندية إذ دخل النادل الحجرة ، وفى وجهه سمة المستعجل فنادى السيد جاسبر قائلا سيدى إن شخصا يطلبك فى التليفون على عجل

ولكن جاسبر تباطأ مفكرا ثم قال : تليفون فى مثل هذه الساعة ؟ أعرفت من المتكلم ؟

فأجاب النادل : إنه لم يذكر اسمه يا سيدى ، ولكنى أظنه صوت لورد منشنجهام . ولقد

به ملكا على (أشوريا) بدلا منه

أما هو .. فانطلق إلى صومعة فى الصحراء فلزمها يفكر ويتأمل فيما تلقاه من حقائق وما بلغه من علم .. ثم مالبث بعد حين أن راح يجوب البلاد ويجول فى البقاع .. يدعو الناس إلى الخير ويأمرهم بالمعروف .. ويعلمهم أن الحياة واحدة فى كل الخلق .. وأن الإنسان إذا ما أراد أن يصيب غيره بأذى فما يصيب إلا نفسه .. ولا يحيق الشر إلا بصاحبه !

مصطفى جميل مرسى

قال إنه يرجو أن تتصل به فى سرعة

فقال سلين لرفاقه وهو يتهيد آسفا احتفظوا بمكانى على مائدة اللعب فسأعود الدور الثانى ولست أدرى لم يطلبنى منشنجهام هذه الساعة من الليل وعلى هذه الصورة

وأمسك جاسبر سماعة التليفون وقال : إنه أنت يا منشنجهام كما أظن ؟

فأجاب منشنجهام : هل يشغلك الآن عمل هام يا جاسبر ؟

فقال جاسبر : لا .. لقد كنت سعيدا أن ألعب البردج

فقال محدثه : وكنا هنا كذلك نلعب ، ولكن يظهر أن القدر تدخل بيننا . أتستطيع أن توافينى على محل فى رقم ٦ بأبنية كنتنجهام ؟

فأجاب سلين وفى لهجته شئ من الفتور : أتقصد الآن أم ترى أنه يمكن أن أتى بعد حين ؟

فقال منشنجهام : أقصد أن تجئ هذه اللحظة . اركب أسرع سيارة أجرة تصادفك . فقد حدث هنا أمر لا نستطيع أن نفهمه وأعتقد أنك خير من يعيننا . إنى شديد الأسف

ولكن ...

فقال جاسبر : سأحضر الآن

وأرسل جاسبر اعتذاره إلى رفاقه وأسرع بارتدى معطفه وقبعته واستقل أول سيارة صادفته إلى كنتجهام . وكان البناء الذى يقصد إليه جاسبر صغيرا بالنسبة إلى ماحوله. كان يتألف من طوابق ثلاثة ، أما أسفله فكان دكاكين كله . وكان الطابق الأول مكاتب مختلفة ، وكان الثانى شقة مسكونة . وكان لورد منشنجهام الأعزب يسكن فى الطابق الثالث

ولاحظ سلين وهو يدخل هذا البيت أن ثمة بعض القلق والضيق يبدو على وجهى عامل المصعد وحارس المبنى . على أن سلين لم يسأل أحدهما عن شئ . ودخل المصعد مسرعا ثم خرج منه عند باب الطابق الثالث ولقيه خادم منشنجهام فى مدخل الشقة وأخذ منه معطفه وقبعته ، ثم تقدمه إلى حيث كان يجلس سيده ، فنهض منشنجهام وفى وجهه حيرة وقلق وفى عينيه ذبول واستقبل صديقه وأجلسه على مقعد بجوار مائدة اللعب ، وكان يجلس حولها رجلان آخران ولم يكن يشغل المقعد الرابع أحد

وقال منشنجهام لصديقه : حسنا فعلت إذ جئت الآن . إنك تعرف هذين فيما أظن

فأومأ سلين برأسه موافقا ، وتبادل إيماءات التحية مع الرجلين ، وكان أحدهما جورج برت أحد كبار وزارة الخارجية وكان الثانى مارتن فيس عضو البرلمان ورئيس كثير من الشركات الهامة ومن ذوى الشهرة العالمية فى شؤون المال . وقد لاحظ سلين منذ دخوله الحجرة أن هناك شيئا ما يتصل بذلك المقعد الخالى

وقال جاسبر مازحا ماذا تصنعون هنا ؟ أتدبرون مؤامرة لقطع بعض الرقاب ؟

فأجابه منشنجهام : إننا نخشى أن يكون هنالك من يفعل ذلك غيرنا ... لقد جلسنا نلعب منذ ثلاثة أرباع الساعة وكان يلعب معنا كارتريت . إنك تعرف رونى كارتريت بالضرورة .

فأجاب سلين : نعم . . أعرفه

وعاد منشنجهام يقول : ما كدنا نوزع الورق حتى دخل الحجرة خادمى توميسن يقول إن شخصا يريد أن يكلم كارتريت فى التليفون فنهض كارتريت معتذرا إلينا ، وكانت ورقاته بيده وكان يرتبها وهو يغادر الحجرة ... وأنت تعلم أن التليفون فى الحجرة الصغيرة المجاورة .. إنى أعلمك بهذه التفاصيل إذ ليس لدينا ما نعتمد عليه غيرها ، وربما وجدت فى أمر تافه مما أسرد ، مايعينك على الفهم ...

فقاطعه سلين قائلا : نعم ... نعم ... استمر

فقال منشنجهام : وانتظرنا دقيقة أو دقيقتين .. ثم مضت خمس دقائق ، ثم عشر ، ولم يعد صاحبنا وأخذ القلق يساور هذين الصديقين فنهضت لأنظر أين ذهب كارتريت. ولكنى لم أجده ، ورأيت ورقاته على المنضدة الصغيرة بجوار التليفون . فناديت باسمه فلم يجب أحد ، ثم بحثت عنه فى الشقة كلها وبحث معى خادمى نومسن فلم نعثر له على أثر. ونزلت إلى الطابق الأرضى وسألت حارس المبنى وكان بحيث يرى كل داخل أو خارج ، فقال إنه لم يغادر حجرته منذ أكثر من ساعة ولم ير أحدا يدخل البيت أو يخرج منه. وخلاصة القول ياسيدى أنها قصة جد سخيفة .. ولكن كارتريت قد اختفى فى غير سبب

فقال سلين مبتسما : أظن أنه فى هذه المدة لم يبعد عنا بعدا كبيرا !

فأجاب منشنجهام قائلا : وهذا يسهل عليك البحث عنه . إنك تعرف جغرافية هذا المبنى فيما أعتقد . فالدكاكين فى الطابق الأرضى وهى مغلقة منذ أكثر من ثلاث ساعات ، والمكاتب فى الطابق الأول وليس فيها أحد منذ ساعتين على الأقل . أما الطابق الثانى وهو الذى يقع تحت شقتى هذه فتسكن فيه الأميرة مادرويل وهى سيدة عظيمة الثراء مزيج فى جنسيتها من الروسية والبولندية. ويجعلنا مقامها هنا نرى دنيا العلية وحسبك أن بعض زائريها من قصر بكنجهام نفسه

وسأله سلين فى اهتمام : أيعرف كارتريت تلك الأميرة ؟

فأجاب منشنجهام : كلا إنى واثق من أنه لا يعرفها فقد سألنى حين كان هنا آخر مرة قبل هذه عمن يسكن فى الشقة التى تقع تحتنا . والآن ماذا ترى أيها الصديق ؟ الدكاكين مغلقة والمكاتب مغلقة خالية ، وشقتى لم تدع فيها مكانا إلا فتشناه ، وشقة الأميرة لا يسكن فيها غيرها ، وهى كما قلت لك سيدة معروفة ، تعيش عيشة هادئة ولا تخرج قط من مسكنها بالليل .. فأين ذهب كارتريت إذن ؟

وأشعل جاسبر سلين سيكارة ولبث لحظة يفكر ، ثم نهض كأنما وصل إلى رأى ، وذهب إلى حيث يوجد التليفون ، فوجد ورقات كارتريت فى موضعها كما ذكر منشنجهام ؛ ولكنه حين عدها وجدها اثنتى عشرة فقط ، فأخذ يبحث عن الورقة الناقصة تحت المنضدة وحولها وفوق البساط وتحت أطرافه ولكنه لم يجد شيئا . ورد الورقات إلى موضعها ، وتناول سماعة التليفون ووضعها على أذنه وأصغى فلم يسمع شيئا ،

فضغط على زر التليفون ولكن فى غير جدوى . وظل لحظات يعالج التليفون ولكنه رآه وكأنه قطعة من الحديد ليس غير . فنادى تومسن فسأله قائلا « أهذا هو التليفون الذى دق حين استدعيت كارتريت ليتكلم ؟

فقال تومسن : هو بغير شك يا سيدى، ملبس فى الشقة غيره ، إلا امتدادا له يدق فى حجرة النوم

فقال سلين : أرجو أن تذهب فترى هل فى الجهاز الآخر خلل ؟

وعاد الرجل بعد قليل يقول : لم أستطع أن أحدث أية صلة يا سيدى وأظن التيار مقطوعا عنا من مكان ما

فأومأ سلين برأسه ثم قال : إن هذا التليفون قد عبث به عابث فكيف كلمنى فيه لورد منشنجهام ؟

فقال تومسن : تكلم اللورد فى التليفون الذى فى الردهة السفلى للبيت حين ذهب ليسأل الحارس

فسأله سلين فى اهتمام : أواثق أنت من أن كارتريت رد على طالبه فى هذا التليفون ؟»

فقال الخادم : واثق كل الثقة ياسيدى ، فقد كنت أسمع صوته فى وضوح

فسأله سلين : ألم تسمع ماذا قال ؟

فأجاب الخادم مستنكرا : إنى لم أصغ إلى حديثه يا سيدى

فقال سلين فى هدوء : هذا حسن .. أبلغنى اللورد أن مستر كارتريت قد اختفى وسألنى أن أبحث عنه ، فإذا عرفنا من كان يكلمه سهل علينا الأمر

فقال الخادم : آسف يا سيدى إنى حقا لم أسمع شيئا من حديثه

فسأله سلين : ألم تلاحظ شيئا من الاضطراب على وجه مستر كارتريت أثناء الحديث أو بعده ؟

فقال الخادم : لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال كذلك يا سيدى ، فقد كنت مشغولا أنظف المائدة فى حجرة الطعام وكل ما أعرفه أنى سمعت صوت مستر كارتريت وهو يتكلم فى التليفون، وبعد دقيقتين خرجت من حجرة الطعام فلم أجد بجانب التليفون إلا تلك الورقات على المنضدة

فسأله سلين : وماذا كان من أمر معطفه وقبعته ؟

فقال الرجل : إنهما لا تزالان هنا ، وإذا كان لى أن أجرؤ فأشير إلى شىء فذلك أنه لم يكن ليحاول الخروج من غيرهما فالليلة باردة جدا والسماء تساقط الصقيع

فغمغم سلين قائلا : حسن إن من الخير أن يبدأ الإنسان بفرض محدد أيا كان . فليكن هذا الفرض أن كارتريت لا يزال فى

هذا المبنى وأننا إذا التمسناه هنا وجدناه

ودخل سلين على صديقه منشنجهام وصاحبيه ، فسأله : ماذا ترى ؟

فقال سلين : إنك على حق فيما قلت فقد اختفى كاريت بالمعنى الدرامى الكامل للاختفاء فلا يزال معطفه وقبعته بالردهة ولا تزال ورقته على المفضدة وقد قطع تليفونك

ونظر الرجال بعضهم إلى بعض فى قلق ثم قال جورنج برت : إن المعجزات لا تحدث فى هذه الأيام . ولا بد أن هناك حلا يسيرا لهذه المشكلة

فقال سلين : أرجح ذلك كثيرا فهيا بنا ننظر ما هذا الحل . وقد اقترح بادىء الرأى أن نفحص امتعتهم أنت وصديقاك هذه الشقة فحصا جيدا بينما أذهب أنا فأستفهم الحارس ، وإذا لزم الحال فسوف أشاغب الأميرة بكلمات بعد ذلك

فوافق منشنجهام على ذلك ودعا صديقيه ليصحباه . ونزل سلين إلى الحارس فوجده رجلا لا يمكن أن يرتاب فيه بأن يتآمر تآمرا من أى نوع أو يهمل عمله . وقد أكد فى غير تحفظ أنه منذ أن جاء ضيوف منشنجهام لم يدخل المبنى أو يخرج منه أحد . وقال عامل المصعد إنه منذ أن صعد هؤلاء إلى مضيفهم لم يدع إلا لينزل بمنشنجهام إلى مدخل المبنى ليسأل الحارس .

وصحب سلين عامل المصعد إلى الطابق الأول ، ففحص الأقفال فوجدها كلها مقفلة ولم يتبين أى شعاع من النور داخل المكتب

فعاد ثانيا مع العامل إلى الطابق الأرضى وسأل الحارس عن أصحاب تلك المكاتب فإذا هؤلاء قوم معروفون بين محام وتاجر فراء ووكيل شركة أفلام ، وقد غادروا المبنى جميعا هم وموظفوهم منذ الساعة السابعة

فقال سلين : إذن ليس هناك من قاطن لهذا المبنى إلا لورد منشنجهام فى الطابق الثالث والأميرة فى الطابق الثانى فخبرنى ماذا تعرف عن هذه الأميرة

فأجاب الحارس وقد أخذ صوته وهيئته يميلان على احترام شديد : إنها أرملة ياسيدى وإنها روسية الجنسية على ما أظن وقلما تخرج من بيتها ، ولكن زائريها كثيرون وكلهم من العلية . وهى سيدة كريمة رحيمة من خيرة من سكنوا هذا المبنى . وكثيرا ما ترى السادة والكبراء هنا فى زيارتها »

فقال سلين : هل يقيم أحد معها ؟ ومن خدمها ؟

قال الرجل : إن لها رفيقة ، وهى سيدة شابة تلازمها دائما . ويخدمها رجلان وثلاث نساء

فقال سلين : إنها إذن ليست فقيرة مثل معظم الروس

فأجاب الرجل : فقيرة ؟ كلا ... إنها تشترى دائما ما تحب من زهر ومن خمر، وخير المأكولات من أرقى المحلات التجارية. ويأتى الحانكون والحانكات إليها هنا . ولها سيارتان وتجدها فى الأوبرا أو فى غيرها من دور التمثيل تتخذ أحسن مكان منفرد .

فقال سلين: شكرى لك عظيم على ما أخبرتنى به . ولو أن ما قلته لم يصل بى إلى رأى فيما أنا مشغول به فهو مفيد على أى حال .

ثم دس سلين فى يد الرجل ورقة مالية . فلما نظر فيها وجدها من فئة الجنيه فقال فى دهشة هذا أكثر مما استحق على إجابتى عن بعض الأسئلة

فقال سلين : هو لك عن طيب خاطر إذا أجبت عن سؤال واحد هو الأخير. إن لديك هنا جهازا جديدا من أجهزة التليفون لتحويل التيار إلى الشقق والمكاتب المختلفة ، وهو جهاز نافع . والآن هل لك الآن أن تخبرنى لماذا قطع السلك الموصل إلى شقة منشنجهام؟ أنظر هنا فوق الجهاز بوصتين تجده مقطوعا

واستدار الرجل فى سرعة ونظر ، وفغر فاه، وأخذت عيناه تطرفان فى دهشة وقال : ليرحمنى الله . لقد كان الجهاز سليما حين رأيته قبل هذا ... أقسم أنه كان سليما .

فقال سلين : لقد كان سليما عند التاسعة والربع ، لأن لورد منشنجهام كلمتى فى النادى وقتئذ . ثم نزل هنا إلى البهو غيره ؟

وشمات الدهشة الحارس من أقطاره ولم يستطع أن يحول بصره عن السلك المقطوع إلا فى جهد ثم قال : لم ينزل هنا أحد غير من اعتدنا أن نراهم أنا ووليم عامل المصعد ؛ لقد نزلت رفيقته الأميرة وخرجت إلى الشارع ومعها الكلبان الصغيران كما تفعل أحيانا ونزل أحد الخادمين فدخن سيكارة ثم وقف ينتظر عودتها خارج الباب . ولست أذكر أحدا غير هذين يا سيدى . وإنى واثق أنه لم يدخل المبنى أحد من الخارج ولا غادره أحد فلم يعد إليه

فقال سلين : حسن . لنقف عند هذا فلست تعرف من قطع التليفون . وهذا جانب من ذلك اللغز الذى حيرنا . ولكنك تبدو ذا بصيرة فما رأيك فى كارتريت وأين تظنه ذهب ؟

فأجاب الحارس : إنى أظنه قد ألقى بنفسه من إحدى النوافذ يا سيدى . فإنى لا أستطيع أن أتبين طريقة غير هذه لخروجه من هذا المبنى وآخر احتمال لحل هذا اللغز أنه ربما كان كارتريت صديقا للأميرة وأنها هى التى طلبته فى التليفون ، فنزل إلى شقتها وأصابه هناك إغماء أو شئ من هذا القبيل وهو احتمال غير مقنع ولكن ماذا لدينا غير هذا مما يقنع ؟

وأومأ سلين موافقا ثم سأل الرجل قائلا: أظنك باقيا هنا ساعة على الأقل ؟

فقال الرجل فى تأكيد : سأبقى هنا حتى تنزل مهما مكثت مع صديقك

وصعدت سلين إلى شقة منشنجهام ، وكان الرجال الثلاثة ينتظرون وقد فرغ صبرهم . فقال منشنجهام : إنهم لم يدعوا موضعا إلا فتشوه فلم يعثروا على أثر لكارتريت . وسأل صاحبه هل وفق إلى شئ فأجابه سلين أنه لم يهتد إلى شئ بعد . وأن آخر أمل له هو شقة الأميرة وأنه لا بد أن يذهب إليها

فقال منشنجهام : إذن فتجرع شيئا من الشراب فإنك فى حاجة إلى كل عصب من أعصابك لتفعل فعلا كهذا فى الساعة الحادية عشرة

فتناول سلين كأسا من الويسكى وجلس يفكر على متكئ أحد المقاعد لحظة . ثم أخذ يسأل منشنجهام عن كارتريت فقال :

ألم يكن ثمة ما يقلق كارتريت أو يكربه ؟

فقال منشنجهام : كلا بل .. إنى ما رأيته أكثر تحمسا لعمله منه فى هذه الأيام وأشد اطمئنانا وثقة

فسأله سلين : أليست له علاقات نسائية ؟

فأجاب منشنجهام : ليس حوله إلا امرأة واحدة هى زوجته الجميلة الهادئة التى تخلص له الحب والتى يبادلها حب بحب

فقال سلين فى عزم : إذن ليس أمامنا إلا أملنا الأخير وهو شقة تلك الأميرة فإلى هناك

ونزل سلين إلى شقة الأميرة وإنه ليسأل نفسه ألا يشعر بالمرض من كثرة ما حصر ذهنه فى جوانب هذه المشكلة ؟

ثم وقف لحظة أمام باب الشقة مفكرا قبل أن يضغط زر الجرس . ولم يكد يضغط الزر حتى فتح له الباب أحد الخادمين

فسأله سلين عن الأميرة هل هى موجودة ؟ فأجابه الرجل وفى نظراته الدهش إنها موجودة ولكنها لا تقابل أحدا إلا عن موعد . فقال سلين : إنه يريد أن يراها لسبب طارئ ؛ ومد إلى الرجل يده ببطاقته . فأخذها الرجل ودخل الشقة ووقف سلين ينتظر لدى الباب

وسمع سلين صوتا نسويا فى إحدى الغرف فى نبرة دهشة ، وبعد قليل عاد الخادم فقاده إلى هذه الغرفة ، فإذا هو بين أثاث فخم يدل على بسطة فى الثراء ، وأحدث عيناه امرأتين ، إحداهما الأميرة فيما يبدو ، وكانت ترتدى ثيابا سوداء لا بهرج فيها ولكنه رأى العالى الثمينة الجميلة حول جيدها وفى أذنيها ، وقد أزاحت شعرها الأشهب عن جبينها فى هدوء ولمحته بعينيها السوداوين . وأما الثانية فشابة تلبس كذلك الثياب السوداء ، قوية معارف الوجه ، سوداء الحاجبين ، ضيقة المحجرين ،

يكون فى شقتى بأى وجه من الوجوه ؟

فقال سلين : أيتها الأميرة .. إن هذا الافتراض يبدو لنا غريبا بقدر ما يبدو لك؛ ولكن أرجو منك أن تقبيني وجهة نظرنا . إنه ليس بمقل أن يذوب رجل أو يستحيل إلى هواء . وهذا الرجل الذى نلتمسه لم يغادر هذا المبنى ، وما تركنا موضعا فى المبنى إلا فتشناه إلا شقتك هذه ... لولا هذا ما وضعت نفسى منك فى هذا الوضع ، ولما افترضت هذا الفرض الذى أعرف أنه يبدو غير معقول

ونظرت الأميرة فى بطاقة سلين وقالت مفكرة : أظن أنى عرفت اسمك ياسيد جاسبر . إنى قلما أبرح مسكنى ولذلك ترى دائرة معارفى ضيقة . ولكن يخيل إلى أن ثمة شيئا مألوفا حول هذا الاسم . أتكتب مثلا؟

فقال سلين : أكتب بعض مقالات عن الإجرام من نواح مختلفة ولكن ذلك نادر جدا ؛ إلا أنى أعرف الكونتس مونتريتى وأظنها صديقة لك

فقالت الأميرة : آه . ألجا عزيزتى ... إنها صديقتى حقا . حسن ! لكن لك ماأردت ياسيد جاسبر . إفعل ما تشاء بالخدم إنا سندع هذا الرجل يفعل ما يحب . ليصاحبه جرابلنج

فقال سلين : إنى أشكرك أعظم الشكر أيتها الأميرة وسيسرنى لذلك لو ورد منشنجهام صنيعك . وأعدك أنى لن أمدعينى فى غرفتك إلى غير ما جئت من أجله

فابتسمت الأميرة قائلة : أخشى أنك لن تجد فى شقتى مايسترعى بصرك كثيرا ياسيد جاسبر . فتشها كما تريد ، وأرجو أن أراك قبل أن تخرج

وكان جرابلنج خادما حسن المران فى عمله وهو فيما يبدو إما ألمانى أو روسى . ولم يكن هو الذى أدخل سلين الشقة . ويظهر أنه رئيس الخدم . ولما دعته الأميرة وأشارت عليه بما يعمل لم يبد على وجهه الصلب شىء من الدهشة

وكانت غرفة نوم الأميرة آية فى الرونق والفخامة ، ولم يكن فيها ما يدل على أية زيارة للرجال . أما غرفة أنا فكانت أقرب ما تكون إلى غرفة خادمة فليس فيها إلا سرير من الحديد ، على أن غطاءه كان من قماش ثمين . وقد علق فوق السرير صليب حديدى وصورة جميلة للسيدة العذراء . وكانت هناك غرفة أخرى للنوم غير مستعملة فيها أثاث غير ذى قيمة كبيرة ، وبعض التحف الصينية . وقد فتح جرابلنج الأصوانة فكان ملؤها الصينى الفاخر وأنماط من الكؤوس والزجاجات . أما قسم الخدم فكان عاديا وقد فتشه سلين شبرا شبرا ، لم يدع موضعا حتى مكان التليفون الذى

يكون فى شقتى بأى وجه من الوجوه ؟

فقال سلين : أيتها الأميرة .. إن هذا الافتراض يبدو لنا غريبا بقدر ما يبدو لك؛ ولكن أرجو منك أن تقبيني وجهة نظرنا . إنه ليس بمقل أن يذوب رجل أو يستحيل إلى هواء . وهذا الرجل الذى نلتمسه لم يغادر هذا المبنى ، وما تركنا موضعا فى المبنى إلا فتشناه إلا شقتك هذه ... لولا هذا ما وضعت نفسى مثلك فى هذا الوضع ، ولما افترضت هذا الفرض الذى أعرف أنه يبدو غير معقول

ونظرت الأميرة فى بطاقة سلين وقالت مفكرة : أظن أنى أعرف اسمك ياسيد جاسبر . إنى قلما أبرح مسكنى ولذلك ترى دائرة معارفى ضيقة . ولكن يخيل إلى أن ثمة شيئا مألوفا حول هذا الاسم . أتكتب مثلا؟

فقال سلين : أكتب بعض مقالات عن الإجرام من نواح مختلفة ولكن ذلك نادر جدا ؛ إلا أنى أعرف الكونتس مونتريتى وأظنها صديقة لك

فقالت الأميرة : آه . ألجا عزيزتى ... إنها صديقتى حقا . حسن ! لبكن لك ماأردت ياسيد جاسبر . إغمز الخادم بأننا . إننا ستدع هذا الرجل يفعل ما يحب وليصاحبه جرابلنج

فقال سلين : إن شكرك أعظم الشكر أيتها الأميرة وسيسرنى لو أن مفتشجهام صديقك . وأعدك أنى لن أمدعينى فى غرفتك إلى غير ما جئت من أجله

فابتسمت الأميرة قائلة : أخشى أنك لن تجد فى شقتى مايسترعى بصرك كثيرا ياسيد جاسبر . فتشها كما تريد ، وأرجو أن أراك قبل أن تخرج

وكان جرابلنج خادما حسن المران فى عمله وهو فيما يبدو إما ألمانى أو روسى . ولم يكن هو الذى أدخل سلين الشقة . ويظهر أنه رئيس الخدم . ولما دعته الأميرة وأشارت عليه بما يعمل لم يبد على وجهه الصلب شئ من الدهشة

وكانت غرفة نوم الأميرة آية فى الرونق والفخامة ، ولم يكن فيها ما يدل على أية زيارة للرجال . أما غرفة أما فكانت أقرب ما تكون إلى غرفة خادمة فليس فيها إلا سرير من الحديد ، على أن غطاءه كان من قماش ثمين . وقد علق فوق السرير صليب حديدى وصورة جميلة للسيدة العذراء . وكانت هناك غرفة أخرى للنوم غير مستعملة فيها أثاث غير ذى قيمة كبيرة ، وبعض التحف الفنية . وقد فتح جرابلنج الأصوانة فكان ملؤها الصينى الفاخر وأنماط من الكؤوس والزجاجات . أما قسم الخدم فكان عاديا وقد فتشه سلين شبرا شبرا ، لم يدع موضعا حتى مكان التليفون الذى

لا يتسع إلا لشخص

وقال جرابلنج فى احترام : لم يبق بعد ذلك مكان ياسيدى ، لقد دخلت كل حجرة وكل مرفق وفتحت كل صوان

قدس سلين جبينها فى يده وهو يعبر عن أسفه لما ساقه إليه من تعب من جراء هذا التفتيش ، وقبل الرجل الجنيه ، ثم فتح باب الصالون وقد تقدم سلين إليه ، والتفتت الأميرة وعلى ثغرها ابتسامة ضئيلة . وقالت فى لهجة ساخرة : إنك لم تعثر على صديقك مستخفيا تحت سريرى أو قابعا فى خزانة ملابسى ... لعل صديقك حسن الهيئة ولا ريب أنى فقدت بفقده شيئا يؤسف عليه

فبدا على سلين سمة الاعتذار ثم قال : لم يتح لصديق من حسن الحظ ما يسوقه إلى شقتك ، وإنى أرجو أن تقبلى معذرتى وشكرى فمدت له الأميرة يدها مسلمة ، ونظر إلى الفتاة فلم يجد ملامحها معبرة عن شئ ، وقالت الأميرة : أرجو أن تعود لزيارتى ذات يوم يا سيد جاسبر لتخبرنى على الأقل ماذا كان من أمر صاحبك المختفى

فأجاب سلين : إئذنى لى أن أعبر لك عما بعثه عطفك من عميق الأثر فى نفسى

وكان فى طريقه إلى الباب والحيرة تأخذه من أقطاره ، فإن كارتريت بلا شك غير موجود بهذه الشقة ... وتباطأ سلين فجأة فقد وقعت عيناه على شئ بعث هزة فى جسده وشعاعا من الأمل فى ذهنه . كانت باقة كبيرة من الزهر موضوعة فى أصيص على منضدة قرب الباب فرأى سلين ورقة من أوراق اللعب مكورة بجانب هذا الأصيص . فمال على الباقة ليشمها وتناول هذه الورقة دون أن يفطن أحد إلى ذلك فقد كانت الفتاة تتأهب لتستأنف القراءة ، وكان جرابلنج يفتح الباب ، وكانت الأميرة متجهة نحو صندوق كبير للسكائر تخرج سيكارة منه

* * *

كان منشنجهام وصاحباه فى شقة ينتظرون عودة سلين ولم يبق فى نفوسهم صبر . فلما دخل عليهم كانت ورقات اللعب لا تزال فى مواضعها على المنضدة فنظر إليه منشنجهام متسائلا بعينيه ثم قال : هل من جديد ؟

فقال سلين : إلى بعض الويسكى والصودا

فأسرع منشنجهام فناوله كأسا ثم عاد يقول له : هل من أمل ؟

فأجاب سلين : لست أدرى دعنى أتفكر لحظة . وليعد كل منكم ورقاته

فأخذ كل منهم يعد الورقات وفى وجوههم دهشة من طلبه . ثم قال كل منهم : ورقاتى ثلاث عشرة

وأخذ سلين يعد ورقات كارتريت وقد

أحضرها من جانب التليفون فى الردهة ثم قال اثنتا عشرة وأخرج الورقة المكورة من جيب سرواله وأضافها إليها قائلا : وهذه الثالثة عشرة . وكان ظهر هذه الورقة كظهر الورقات جميعا

وحملق الرجال الثلاثة فى وجهه وصاح منشنجهام قائلا : ماذا تعنى بذلك ؟ ثم مد يده يأخذ الورقة المكورة ، فقال له سلين انتظر لحظة ، ثم أخذ الورقة بدوره قائلا : إن هذه هى « الدوه » فهل فى ورقات أحدكم « دوه » ؟ فنفى الجميع ذلك . ونظر سلين فى ورقات كارتريت فلم يجد بينها ذلك « الدوه » فقال : إذن فهذه ورقة كارتريت لا ريب . لقد وجدتها على منضدة فى شقة الأميرة ، بينما كانت الورقات الاثنتا عشرة هنا فى الردهة على منضدة بجانب التليفون

وساد الصمت لحظة ولم يستطع أحد أن يستنتج شيئا من هذا أول الأمر . ثم قال منشنجهام : ماذا حمل كارتريت ينزل إلى شقة الأميرة دون كلمة منه لنا ؟ وقال جورنج برت : ودون أن يرجع إلينا . وتساءل مارتن فنس قائلا : أهو هناك الآن ؟

فقال : كلا . . ليس هناك إلا إذا كان استحال إلى هواء أو قفز مائة قدم وأخفى فى مائة مكان ! لقد دهشت الأميرة من طلبى فحنيت شفتيها ثم أرسلنى فى صحبة خادمها فلم أدع شبرا إلا فتشته . ولقد قالت لى إنها لم تتلق زائرا فى ليلتها ولم تبرح صالونها وإنها لا تعرف أحدا باسم كارتريت ومع ذلك فإن هذه الورقة التى كانت فى يد كارتريت حين غادر هذه الحجرة قد وجدتها فى صالونها

وضغط منشنجهام براحتيه على فوديه قائلا : أتم كلامك يا سلين . إنك تمضى بنا إلى الجنون

فقال سلين : وأنا أحس أنى خطوت خطوات فى هذا السبيل . لا بد لى من العودة إلى الحارس وإنى لأثق فى قوله إنه لم يخرج أحد من باب المبنى وإنه لا مخرج للمبنى إلا هذا الباب

وقال جورنج برت فى شىء من التردد : ألا يمكن أن يكون قد ألقى بنفسه من النافذة ؟

فأجاب سلين : على كل حال إن خطوتنا التالية هى أن ننظر حول البناء فى الشارع

ونزل منشنجهام وصاحبه سلين إلى بهو المبنى يقصدان إلى الشارع فسألهما الحارس هل وجدا صاحبها المختفى ؟ فقال منشنجهام لم نجده بعد . لا تترك مكانك . سنرجع بعد قليل

ونظر فى الشارع فلم يجدا شيئا وأخذ سلين ينظر إلى النوافذ من شقة منشنجهام

إلى الطابق الأرضى ، ثم ذهب فاستدعى الحارس إلى حيث كان يقف منشنجهام . وأشار سلين إلى أعلى قائلا : إن هذا الضوء الخافت فى شقة الأميرة على ما أظن ؟

فقال الحارس : نعم يا سيدى

فسأله سلين : ولمن هذه المكاتب التى تقع تحت شقة الأميرة ؟

فقال الحارس : لرجل يدعى ميشيل هو وكيل فى تجارة الفراء والأشياء الشرقية

فقال سلين : صف لى أى رجل هذا

فأجاب الحارس : أحد أولئك الأجانب . ممتلئ الجسم ذو لحية ، وملابسه من نمط أجنبى . وله سكرتير وكاتب على آلة الكتابة

وأخذ يقل اهتمام سلين بالتوافد . واتجه وصاحبه صوب البناء وتبعهما الحارس . فدخلوا ثلاثتهم وقال سلين للحارس سأصعد إلى شقة صاحبى وأعود بعد لحظات وأرجو أن تظل يقظا فقد يحدث حادث كما أرجو ألا تسمح لأحد مطلقا بمغادرة المبنى

ولما دخل منشنجهام وصاحبه الشقة ، سأل سلين : أليس لديك سلاح من أى نوع ؟ ومصباح كهربائى ؟

فقال منشنجهام : لدى مسدس وعدد من المصابيح الكهربائية

فقال سلين : إلى به وهات مصباحا منها

ولما أخذ سلين المسدس والمصباح قال للرجال الثلاثة : من شاء منكم أن يأتى معى فليأت ، فإنى ذاهب إلى باب مكاتب ميشيل فمصغ لدى هذا الباب ، فإن لم أسمع شيئا فلست بفاعل أى فعل .

وخرج ثلاثتهم فى أثره ، ونزلوا على السلم يمشون على أطراف أصابعهم ، حتى بلغوا باب ميشيل فنظروا فى اللافتة فقرأوا عليها « ميشيل وولده » . ثم وقفوا صامتين لدى الباب يمسكون أنفاسهم . وجثا سلين لحظة ووضع أذنه على الأرض ، ثم نهض فى سكون تام . ورأى أصحابه فى عينيه تألقا وفى وجهه سمة الأمل والانتعاش . وأشار إليهم أن يتبعوه ونزلوا معه إلى البهو . وكان الحارس لا يزال فى مكانه وعامل المصعد على كرسيه بالقرب من مصعده .

وقال سلين : أيها الحارس ، خذ حذرك فإن ثمة ما يريب فى مكان ما بهذا المبنى

فقال الحارس فى كثير من الارتياع : أين ياسيدى ؟

فأجابه سلين : دعك من ذلك الآن . خذ هذا المسدس ولا تسمح لأحد أيا كان رجلا أو امرأة أن يغادر المبنى بينما أتكلم فى التليفون

فقال الحارس : لا حاجة بى إلى المسدس فلن يستطيع أحد أن يمر من هنا رغم إرادتى

فقال سلين : اسمع نصيحتى . مادا يكون

موقفك إذا كان من يريد أن يخرج يحمل سلاحا

ثم اتجه سلين إلى منشنجهام قائلا : سوف أطلب اسكتلنديارد وسأطلعك على كل شيء في وقته المناسب .

وأومأ منشنجهام قائلا : افعل ما ترى فإني أكل كل شيء إليك أيها العجوز المحنك

ومشى سلين نحو التليفون ولكنه عاجله أن وقف فجأة . وأحس كل رجل في هذه الجماعة كما لو سرت إليه هزة كهربائية !

إن وقوفه شيء لا خطر له ولكنه أحدث في نفوسهم من الأثر كما لو أن قوة خفية سلمت الحركة في أيديهم . وسمعوا جرس المصعد يدق !

وساد الصمت لحظة ثم قطعه سلين بقوله يسأل الحارس في استنكار : من تراه يغادر المبنى في مثل هذا الوقت من الليل ؟

فأجاب الحارس : لا أستطيع أن أتصور من يكون هذا

وصعد عامل المصعد . وما هي إلا لحظات ثم هبط المصعد ، وفتح العامل الباب فخرجت منه أنا ، تلك الفتاة التي كانت تجلس مع الأميرة ، واتجهت نحو باب المبنى وفي يدها حقيبة ومعها كلبها ، ولكنها لم تكد تخطو بضع خطوات حتى اعترض سلين سبيلها قائلا : آسف يا سيدتي .. أظن أن كلبك يستطيع أن يستغني عن رياضته هذه الليلة ، وقد خرج مرة قبل هذه فيما أظن !

فنظرت إليه بعينين تقدحان شررا وقالت : إنه يخرج عدة مرات كل ليلة ، وقد تأخر هذه الليلة لأنك أنت الذي أخرتنا بمجيئك إلى شقة الأميرة ، ولا بد له أن يعدو إلى زاوية الشارع .

وأرادت أن تخطو ولكن سلين لم يتحرك من أمامها وقد عاد يخاطبها قائلا : إن الكلب على كل حال أمر لا أهمية له وإنما المهم أنه قد صدر أمر ألا يغادر هذا المبنى أي شخص حتى ينجلي ما نحن بصدده .

فالتمع الغضب والشر في عينيها وقالت : وأي أمر هنا يمكن أن يصدر هذا الأمر ؟

ثم حاولت ثانية أن تمضي في سبيلها ؛ فأمسك سلين بمعانقها وقال : إنه لن يسمح لك أيتها الفتاة أن تبلغي الشارع ولا أن تعودي إلى حيث كنت .. أيها الحارس شدد الرقابة على هذه الفتاة ريثما أعود

وفتحت الفتاة فمها تريد أن تصرخ ، ولكن الحارس أسرع فوضع يده على شفتيها ، بينما ذهب سلين إلى التليفون .

وعاد سلين بعد أن طلب سكوتلنديارد مفتش البوليس في اسكتلنديارد ليحضر ومعه ثلاثة أو أربعة من رجاله . وكانت الفتاة لا تزال تحاول التملص فقال لها سلين : لن تجدي محاولتك شيئا وخير لك أن تقولي أين مسدس

كارتريت

فأجابت فى عنف : ومن لى بأن أعرف مستر كارتريت هذا وأين يوجد ؟

وتركها سلين حيث كانت واقفة ، وأخذ يفرغ الردهة جيئة وذهابا ، وهى تنظر إليه بعينى عمرة : وبعد ربع ساعة وصل مفتش البوليس ومعه أربعة من رجاله ، فلما رأى سلين سأله قائلا : ميشيل وولده ؟ هل قلت فى الطابق الأول ؟

واتجه سلين إلى حارس المبنى قائلا : اعط المفتاح العام للمفتش أيها الحارس

وتناول المفتش المفتاح من الحارس ، وصعد هو واثنان من رجاله ومعهم سلين إلى الطابق الأول وتركا رجلين يحرسان مدخل المبنى ، وفتح المفتش شقة ميشيل وولده

ودخل الجميع الشقة وغمز المفتش زر النور فوجدوا فى أول حجرة بعض المكاتب وبعض أقمطة من القراء معلقة على الجدران ثم رأوا النور فى حجرة داخلية ينبعث ثم يطفئ فى مثل لمح البصر ، فاندفعوا إلى تلك الحجرة وفى أيديهم المسدسات وأضاءوا نورها . فوجدوا هذه الحجرة خالية وفى وسطها رجل على كرسى ثقيل وقد شد بحبال إلى هذا الكرسى ، وكان هذا الرجل هو كارتريت بعينه ! وما كاد كارتريت يرى سلين حتى صاح به : ها أنت ذا يا صديقى سلين ؛ أسرع بإرسال بعض الجند إلى مدخل المبنى .. انظر إلى السقف تجد هذه الفتحة الموصلة إلى مطبخ الأميرة . قد أنزلنى منها خادمها على سلم من الحبال ، وقد صعد عليه هو وميشيل الآن وأخشى أن يهربا

فقال سلين ضاحكا : لا تخش شيئا يا كارتريت فسيجدان البهو محروسا . كان الله لك . أى فخ هذا الذى وقعت فيه ؟

وتقدم سلين فقطع الحبال

وقال منشنجهام ضاحكا : يالك من تعس .. ماذا جاء بك إلى هنا ؟

فأجابه كارتريت : وأنت من جاء بك لتسكن فوق شقة عصابة من البلاشفة

* * *

كان سير جامبر سلين ضيف الشرف فى الليلة التالية فى بيت أحد الوزراء ، وكان كارتريت أحد الضيوف ، فأخذ الوزير يثنى على سلين ويصف ما أداه إلى الدولة من صنيع بالقبض على هذه العصابة وقال إن رجال البوليس كانوا على علم بحركات هذه العصابة ، ولكنهم لم يكونوا يعلمون أين تقيم . ولم يكن يدور بخلدنا أن الأميرة رأس هذه العصابة ، التى كانت تمد البلاشفة هنا وفى روسيا بكثير من الأموال أسبوعا بعد أسبوع .. ثم اتجه الوزير إلى كارتريت وسأله عما إذا كان قد أطلع سلين على سبب اختطافهم

إياه . فقال سلين إنه لم يطلعه بعد .

فقال الوزير : كانت إحدى السفن فى طريقها إلى هنا . وكانت تحمل مايساوى مليون جنيه من ذهب روسيا . ولم يعلم السفير الروسى ماذا انتهى إليه رأى مجلس الوزراء بشأن هذا الذهب . هل تضع حكومتنا يدها عليه ؟ وكان لايستقر من فرط قلقه ، وكان كارتريت هو الرجل الوحيد خارج المجلس الذى يحيط علما بقراره فتعقبوه منذ أيام حتى أوقعوه فى حبائلهم بحيلة غريبة أدع له أن يصفها لك .

فقال كارتريت : استدعيت فى التليفون من شقة منشنجهام فإذا المتحدث يلقى إلى كلمة السر التى كانت بينى وبين وزارة الخارجية ويطلب لقائى فى شقة الأميرة ، فما كدت أدخل الشقة وأسلم على الأميرة وكان خادمها نعب ورانى حتى غبت عن وعيى . ولم أصح إلى نفسى إلا فى تلك الحجرة التى وجدتنى فيها موثقا بالحبال . وكان ميشل وذلك الخادم يضعان مسدسيهما على صدرى لأقضى إليهما بقرار مجلس الوزراء . وكان يصعد أحدهما إلى شقة الأميرة ويدع الآخر يتهددنى تارة . وكانا يجتمعان على تهديدى تارة أخرى ، حتى أحسا بقدومك ومن جاء معك من البوليس ففرا إلى شقة الأميرة ، وكادا يهربان لولا ما أخذت من حيطة .

ثم ضحك كارتريت ومال برأسه وقد أسند مرفقيه على مائدة الشاى قائلا : والآن خبرنى ياسيد سلين كيف عرفت بالله أنى دخلت شقة الأميرة حتى تشك فى شقة ميشيل وولده ؟

فضحك سلين وقال : ورقة « الدوه » ورقتك الثالثة عشرة . . أفهمت ؟

« رو القناع »

من وراء المنظار

فصول انتقادية فكهة من حياتنا الاجتماعية

للأستاذ محمود الخفيف

كتاب فى ٢٠٠ صفحة على ورق أبيض ممتاز

ثمنه ٢٠ قرشا — عدا أجرة البريد

يطلب من إدارة الرواية ومن المكتبات الشهيرة